آداب
مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم
Adab
Journal of Faculty of Arts. University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٤٠. يوليو ٢٠١٨م

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
	بروفيسور. إبراهيم الحاردلو
	بروفيسور. عز الدين الأمين
رئيس هيئة التحرير	بروفيسور. على عثمان محمد صالح
د. سلمى عمر السيد عمر	بروفيسور. جلال الدين الطيب
سكرتير هيئة التحرير	بروفيسور. عمر هارون الخليفة
بروفيسور أزهري مصطفى صادق	بروفيسور. عبد الرحيم على
أعضاء هيئة التحرير	بروفيسور. فدوى عبد الرحمن على طه
د. قمر الدولة عباس البوني	بروفيسور. عبد الرحيم مقدم
د. عمر أحمد عمر	دكتورة. سمية أبو كشوة
د. عفاف محمد الحسن	دكتور. عبدالله حس زروق
أ. آمال عبد الماجد محمد	دكتور. يونس الأمين
	دكتورة. محاسن حاج الصافي
	دكتور. حسن على عيسي
	دكتورة. أم سلمي محمد صالح
	دكتورة. رضية آدم محمد

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١

أو ترسل على البريد الإلكتروني: adabsudan@gmail.com

الإشراف العام والتصميم والإخراج: أزهري مصطفى صادق

المحتويات

القسم العربي

نونية المثقب العبدي. قراءة في المعاني والموضوعات . د.عبدالله محمدأحمد. أ. معني النور الأمين حسب الكريم ١

أسلوب الإبدال في القرآن الكريم. أ. محمد قاسمي..... ٢٦

التحولات السياسية واثرها في أزمة الهوية وتأرجحها في في رواية (عشاق وفونوغراف وأزمنة). أ.م. د. إسراء حسين جابر..... ٣٩

الشعر والدين والأخلاق بين النقاد والفلاسفة. ألاء ياسين دياب..... ٦١

القسم الأجنبي

An Analysis of the Spelling Errors. In the Written English of Saudi University Students. Babiker Idris El-Hibir, PhD. and Nouriya Al-Muhaidib, PhD. 1

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يونيو وديسمبر من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني adabsudan@gmail.com.
٤. يراعى في البحث أن يتراوح حجمه بين ٣٠٠٠-٥٠٠٠ كلمة ، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة ، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث ، والجامعة أو المؤسسة الاكاديمية وعنوان البريد والبريد الالكتروني.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى ، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين ، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث المكتوب بلغة أجنبية كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (Adams. 2000. 14).
٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.

أسلوب الإبدال في القرآن الكريم

أ. محمد قاسمي

جامعة وهران أحمد بن بلة ١. كلية اللغات والآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى إيضاح مصطلح قرآني يسمى (الإبدال)، وهو عبارة عن أسلوب قرآني، وصورته: إبدال حرف أو اسم أو فعل بين آيتين متفقتين في الصياغة، كالإبدال بين حرفي (الفاء.ثم) في قوله تعالى ((ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه **فأعرض** عنها)) وفي مكان آخر (ثم أعرض عنها)، ويرى الباحث أن هذا الأسلوب لم ينل حقه من الدراسة والوضوح والتصنيف، هذا الأسلوب يعتبر ظاهرة عامة في القرآن، وقد ذكره العلماء في ثنايا كتبهم، عند تعرضهم لإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لكن لا تجد في القديم ولا في الحديث من درس هذا الأسلوب القرآني دراسة مستقلة، بل ربما يستغرب هذا المصطلح كثير من الباحثين والدارسين، فمصلطح الإبدال في عرف الدراسات اللغوية موضوع نحوي يتعلق بالتراكيب النحوية عند الحديث عن البدل بأنواعه المختلفة، ويتعلق بالمسائل الصرفية المرتبطة بتغيرات حروف الكلمة، إبدالا أو إعلالا، أما الإبدال الذي هو أسلوب من أساليب القرآن فيختلف تماما عن سابقيه، لذلك يتسم هذا الموضوع بالجدة، لا في اختراع المصطلح، بل في جمع متفرقاته، وتصنيف مسائله، وعرضه كموضوع مستقل، وفي هذه الدراسة المختصرة لهذا الموضوع سنحاول وضع تصور عام لهذا الأسلوب القرآني، وسنسوق الأدلة التي تؤكد على وجوده وأحقيته في الوجود، وذلك من خلال تتبعه في مصنفات بعض العلماء المشتغلين بعلوم القرآن، ثم وضع تعريف عام لمصطلح (الإبدال) من خلال فهمهم، ثم الاستشهاد على ذلك ببعض النماذج التطبيقية من القرآن الكريم التي تؤكد أن أسلوب الإبدال ظاهرة قرآنية، له وجوه مختلفة، وصور متنوعة، جديرة بأن تدرس وتجمع وتصنف تحت عنوان واحد مستقل، وهو: أسلوب الإبدال في القرآن الكريم، وهذه الخطوة ما هي إلا مساهمة متواضعة في وضع لبنة في قواعد هذه الموضوعات الأسلوبية القرآنية، التي نعتقد بأنها لا تزال تحتاج إلى دراسة وبحث وتصنيف.

من مميزات وخصائص القرآن الكريم أنه كتاب كريم معطاء، لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، يتراءى لكل جيل بحلله المعرفية في الأنفس والآفاق، ولم يزل شغل العلماء واهتمامهم منصبا حوله، رجاء استكشاف علومه وفنونه ووجوه إعجازه، فألفت من أجل ذلك مؤلفات كثيرة، والمكتبة الإسلامية تزخر بذلك الكم الهائل من التصانيف في التفسير والغريب والبلاغة والبيان وعلوم القرآن، والتي تدل على عمق عناية المسلمين بكتاب الله ودراسته، وليس بدعا من القول أن يقال: إن الأساليب البيانية للقرآن الكريم نالت حظا كبيرا، ونصيبا أوفر من اهمتمامات العلماء، فهذا من المتفق عليه، لأن محور إعجاز القرآن الكريم في وجوه إعجازه هو البيان، ولكن لا تزال هناك أساليب قرآنية لم تأخذ حقها من الدراسة والوضوح والتصنيف، ومن هذه الأساليب: أسلوب الإبدال في الآيات القرآنية المتشابهة، هذا الأسلوب يعتبر ظاهرة عامة في القرآن، ذكره العلماء في ثنايا كتبهم، وفي تعرضهم لإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لكن لا تجد في القديم ولا في الحديث من درس هذا الأسلوب القرآني دراسة مستقلة، بل ربما يستغرب هذا المصطلح كثير من الباحثين والدارسين، فمصطلح الإبدال في عرف الدراسات اللغوية موضوع نحوي يتعلق بالتراكيب النحوية عند الحديث عن البدل بأنواعه المختلفة، ويتعلق بالمسائل الصرفية المرتبطة بتغيرات حروف للكلمة، إبدالا أو إعلالا، أما الإبدال الذي هو أسلوب من أساليب القرآن فيختلف تماما عن سابقيه، لذلك يتسم هذا الموضوع بالجدة، لا في اختراع المصطلح، بل في جمع متفرقاته، وتصنيف مسائله، وعرضه كموضوع مستقل، وفي هذه الدراسة المختصرة لهذا الموضوع سنحاول وضع تصور عام لهذا الأسلوب القرآني، وسنسوق الأدلة التي تؤكد على وجوده وأحقيته في الوجود، وذلك من خلال تتبعه في مصنفات بعض العلماء المشتغلين بعلوم القرآن، ثم وضع تعريف عام لمصطلح (الإبدال) من خلال فهمهم، ثم الاستشهاد على ذلك ببعض النماذج التطبيقية من القرآن الكريم التي تؤكد أن أسلوب الإبدال ظاهرة قرآنية، له وجوه مختلفة، وصور متنوعة، جديرة بأن تدرس وتجمع وتصنف تحت عنوان واحد مستقل، وهو: أسلوب الإبدال في القرآن الكريم، وهذه الخطوة ما هي إلا مساهمة متواضعة في وضع لبنة في قواعد هذه الموضوعات الأسلوبية القرآنية، التي نعتقد بأنها لا تزال تحتاج إلى دراسة وبحث وتصنيف.

ولتصور هذا الموضوع يجب أن نعود به إلى أصله الذي تفرع عنه، ومصدره الذي انبثق عنه، ذلك أن مصطلح الإبدال عند علماء القرآن ذكر مدرجا تحت موضوعات " المتشابه اللفظي " الذي يعتبره الزركشي (٧٩٤هـ) في كتابه " البرهان في علوم القرآن " النوع الخامس من علوم القرآن

(الزركشي، ١٩٥٧م. ص: ١١٢)، كما ذكره السيوطي (٩١١هـ) في كتابه " الإتقان " وعده وجها من وجوه الإعجاز (السيوطي ١٩٧٤م. ص: ٣،٤)، وقد أوضح ذلك في كتابه " معترك الأقران " بقوله: " الوجه السادس من وجوه إعجازه: مشتبهات آياته... " (السيوطي، ١٩٨٨ م، ص: ١٠٣.)، فتحت هذا العنوان اندرج مصطلح الإبدال، ونجده جليا صريحا في تقسيم المتشابه عند الكرماني (٥٠٥هـ) من خلال مقدمة كتابه " البرهان في متشابه القرآن " الذي استفتحه بقوله: " فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن الكريم وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، **أو إبدال حرف مكان حرف**. " (الكرماني ٢٠٠٩ م. ص: ٦٣)؛ وكذلك نجده عند ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، فقد عقد بابا للإبدال في كتابه " فنون الأفنان " بعنوان: **باب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف من المتشابه**، وبين صورته بما وقع فيه الاختلاف بسبب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف (ابن الجوزي، ١٩٨٧ م. ص: ٤٢٠).

وقد ذكره كذلك " الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) في كتابه " درة التنزيل وغرة التأويل " (٢٠٠١ ، ص: ١١) ، وابن الزبير الغرناطي (٧٠٨ هـ) في كتابه " ملاك التأويل " (ص: ١٠)، وبدر الدين بن جماعة (٧٣٣هـ) في كتابه " كشف المعاني عن متشابه المثاني " (١٩٩٠م.، ص: ٤) وغيرهم.

فالمصطلح إذا معلوم في كتب الأقدمين، إلا أن القصد إلى وضعه كمصطلح، أو عرض مسائله كموضوع مستقل لم يكن في اهتمامهم، بدليل أن التطرق إليه لم يكن سوى إشارات مختصرة لبعض النماذج الدالة في إيجازها على اعتبار الإبدال قسما من أقسام المتشابه ؛ فإذا تأكد لنا وجود هذا المصطلح، وأدركنا الحقل الذي ينتمي إليه، إذا فما معنى الإبدال عند علماء القرآن ؟ وما هي وجوهه ؟، وقبل معرفة ذلك يجدر بنا أن نعرج على معنى الإبدال في اللغة العربية ولغة القرآن الكريم.

تعريف الإبدال:

لغة: هو: التغيير والتحويل، سواء أكان هذا التغيير حسيا أم معنويا، وسواء أكان في الصورة أم في الجوهر ؛ يقول ابن منظور: " يقال: أبدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه ـ إفناء الذات الأولى وإحداث ذات أخرى ــ وبدلت الخاتم بالحلقة إذا أذبته وسويته حلقة ــ تغيير الشيء مع بقاء عينه ، قال: وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها. والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى." (ابن منظور ١٩٩٧م، ص: ٤٨).

وقد ورد في القرآن الكريم في سياقات مختلفة كلها تدل على التغيير والتحويل، يقول الراغب الأصفهاني: " الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر... والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ البقرة:٥٩. وقوله: ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ البقرة:١٨١. وقوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ النحل:١٠١.... وقوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ إبراهيم:٤٨. وقوله: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ التوبة: ٣٩" (الأصفهاني، ١٩٩١م. ص: ١١١).

والإبدال في الدراسات القرآنية: هو قسم من أقسام المتشابه اللفظي، ومجاله الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، التي تتفق في أغلب مكوناتها، وتختلف في حرف أو كلمة، ويعني: إحلال حرف مكان حرف أو كلمة مكان كلمة، بين آيتين وردتا بلفظ متشابه في الأغلب.

والإبدال أسلوب قرآني جلي، تتميز به أغلب سور القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ﴾ الزمر:٢٣.

وجوه الإبدال:

ينقسم الإبدال في القرآن الكريم ـ في نظرنا ـ إلى ثلاثة أقسام هي:

١ ـ الإبدال بين حروف المعاني، كحروف العطف والجر، وغيرهما، كالإبدال بين (الفاء، وثم) في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الكهف:٧٥. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ السجدة: ٢٢. وكالإبدال بين (إلى، وعلى) في قوله تعالى: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ البقرة:١٣٦. وقوله: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران:٨٤.

٢ ـ الإبدال بين الأسماء أو الأفعال، كالإبدال بين (حية، وثعبان) وبين (انفجرت، وانبجست).

٣ ـ الإبدال بين النوع الأول والثاني، كإبدال كلمة (خشية) بحرف الجر (من) في قوله تعالى: (من إملاق، خشية إملاق)، وهو في القرآن قليل جدا.

أهمية هذا الموضوع:

يعتبر الإبدال ظاهرة عامة في القرآن الكريم، لا يزال يحتاج إلى إحصاء وترتيب وتصنيف، نظرا لكثرته، وتبرز أهميته في إبراز أسرار القرآن وإعجازه، كما أنه مجال غني بالعطاء في مختلف مجالات الدراسات اللغوية، وذلك من خلال إبراز الفروق اللغوية والدلالية بين حروف المعاني، وبين المفردات المعجمية، وبيان شدة الارتباط بين مكونات الآية وسياقها وموضوعها وسورتها، وأثر الحرف والكلمة في البلاغة القرآنية، الى غير ذلك من الموضوعات ؛ يقول الدكتور أبو موسى: "... كأن هذا الفرع هو التطبيق الحي والحق لمنهج الشيخ عبد القاهر ـ يعني نظرية النظم ـ وقد تفلت من أيدي البلاغيين لأنهم انصرفوا إلى مدارسة تراث الشيخ في جانبه النظري، ولم يلتفتوا إلى المناحي التطبيقية لمنهجه... والقصص والحوادث التي تتكرر وتتكرر معها عناصر كثيرة في الأسلوب بينهما فروق، ترتبط بالسياق ارتباطا بالغ الدقة والرفاهة، والكشف عنه يحتاج إلى مهارة ووعي، وإحاطة شاملة، وليس هناك أدخل في باب البلاغة العالية من مثل هذه البحوث..." (محمد محمد أبو موسى، ١٩٨٧م. ص: ٣٤٧).

هذا الكلام الرائع من " أبي موسى " يزيد رأينا تأكيدا على أهمية هذه المباحث القرآنية، وارتباطها الوثيق بالدراسات اللغوية والبلاغية، فهي المجال التطبيقي الذي يزيد فكرة النظم وضوحا وبيانا.

وأسلوب الإبدال في القرآن الكريم أحد هذه المجالات التطبيقية لنظرية النظم، فعندما نستعرض آيتين متفقتين في جميع مكوناتها، ومختلفتين في جزئية صغيرة (حرف /كلمة) فإنه قد تحدد بذلك موضع النظر في نظم الآيتين، وبالتالي يسهل على الباحث دراسة العلاقات الدلالية والسياقية، والفروق اللغوية الدقيقة بين المعاني والكلمات، ومن ثم الوصول إلى اكتشاف دقة النظم القرآني في استعمال اللغة، وروعة انتقائه للحرف والكلمة، إضافة إلى ما يضفيه كل حرف وكل كلمة من المعاني والتصورات الملائمة للموضع الذي استعملا فيه، بحيث لن يستطيع أحد أن يجد في اللغة العربية على اتساعها ما يقوم مقام ذلك الحرف أو تلك الكلمة، بل لو استبدلنا الحرف من آية إلى أختها لاختل النظم، وتهدمت تلك الدلالات والعلاقات ؛ وبالمثال يتضح المقال.

أمثلة تطبيقية:

١. إبدال حرف مكان حرف:

قال تعالى: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾ البقرة:١٣٦. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾ آل عمران:٨٤. وقع الإبدال في الآيتين بين (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا)، وبين (وما أنزل علينا)،(إلينا /علينا).

معنى الحرفين: (إلى) تفيد معنى الوصول والانتهاء دون تخصيص الجهة التي وصل منها الشيء، أما (على) فهي تفيد معنى الوصول من جهة واحدة (الاستعلاء). هذا ما ذكره الاسكافي والكرماني وابن الزبير (ينظر: درة التنزيل، ص: ٢٩٩ والبرهان في متشابه القرآن، ص: ٧٩وملاك التأويل ج/١، ص: ٥٢.)، أما الزمخشري والرازي (ينظر: الزمخشري، ط/٣،١٤٠٧هـ. ج/١، ص: ٣٨١، والرازي ، ط/٣،١٤٢٠) فيرون أن في التعبيرين مغايرة أسلوبية فقط، فالرسل يأتيهم الوحي من علو ويصل إليهم من علو.

علاقة الحرفين بالسورة ونظمها:

السؤال الذي يطرح: لماذا روعي في سورة البقرة التعدية ب(إلى) وفي آل عمران التعدية ب(على) ؟.

الجواب: أن لكل حرف منهما علاقة سياقية بنظم السورة وجوها العام، وذلك للأدلة التالية:

أ. استفتاح السورتين: البقرة (الذين يؤمنون بما أنزل إليك)، آل عمران (نزل عليك الكتاب بالحق).

ب. التكرار: تكرر في سورة البقرة اقتران النزول ب(إلى) ٤ مرات، وب(على) ٢، أما في آل عمران فقد اقترن النزول ب(إلى) مرة واحدة، وب(على) ٤ مرات، فالغالب في البقرة (إلى) وفي آل عمران (على).

ج. سياق السورتين: إذا نظرنا إلى الأحكام الشرعية التي وردت في السورتين، باعتبار أن معنى (على) روعي فيه جهة التنزيل ومصدره، و(إلى) روعي فيه معنى وصول الوحي للعمل به، نجد أن سورة البقرة اشتملت على أغلب الأحكام الشرعية (تحويل القبلة، الصيام، الحج، الجهاد، البيع والربا والمداينة... الخ)، ولا نجد ذلك في سورة آل عمران.

والخلاصة: أن كل حرف جر منهما ارتبط بسياق السورة التي ورد فيها، وجاء إبدال حرف بحرف من نوعه تحقيقا للمناسبة الدلالية العامة لجو السورة، وفي ذلك بيان لسر تناسق نظم القرآن الذي جاء كل حرف فيه في مكانه المناسب له.

٢. إبدال اسم مكان اسم:

قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ النساء:٨٥.

أ. المعنى المعجمي للكلمتين: وقبل ذلك مفهوم الشفاعة " فَالشَّفَاعَةُ: " الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه: الشَّفَاعَةُ في القيامة...وهي هنا بمعنى: من انضمّ إلى غيره وعاونه، وصار شَفْعاً له، أو شَفِيعاً في فعل الخير والشّرّ، فعاونه وقوّاه، وشاركه في نفعه وضرّه." (الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص: ٤٥٨/٤٥٧).

والنصيب هو: الحظ والحصة والسهم، وهو جزء من كل، كثر أم نقص.

والكفل هو: الحظ أيضا والنصيب والمثل، ولكن فيه معنى الكفالة،أي: التحمل والمسؤولية التي تقتضي بطبيعتها المحاسبة (الطاهر بن عاشور ، ١٩٨٤م. ج/٥، ص: ١٤٣).

ب. الحسنة والسيئة في السياق القرآني: يلخصها قوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ الأنعام:١٦٠. والمعنى الكلي للحسنة أنها جزاء مضاعف، والسيئة جزاء محدود بالمثلية.

لذلك استعمل القرآن كلمة (نصيب) مع الحسنة، لأن الحسنة تضاعف، وللشفيع نصيب وحصة من فعل الخير، أما مع السيئة فتغير اللفظ من نصيب إلى كفل، وهذا الإبدال حقق انسجاما في النظم والمعنى، حيث أن التعبير ب(كفل) مع السيئة يصور لنا جزاء السيئة (المثلية)، وهو لها أنسب، إضافة على ذلك تصوير بشاعة الفعل وما يترتب عليه من مسؤولية الحساب والعقاب ؛ أما النصيب فجاء في سياق الحسنة ليصور لنا كثرة العطاء، وهو أولى بها وألصق وأمكن، وقد اشترك النصيب والكفل في معنى الحظ، ولكن كما يظهر هناك فروق لغوية

تمنع القول بالترادف بين الكلمتين، ولغة القرآن لا تقر بالترادف، فكل كلمة استعملت في مكان لا يمكن أن تستبدل بكلمة وإن شاركتها في أصل المعنى.

٣. إبدال فعل مكان فعل:

قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ النساء:٨٩. وقال سبحانه: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ النساء:٩١. أبدل في الآيتين الفعل (وجد) بالفعل (ثقِف)، وهذان الفعلان يشتركان في أصل المعنى وهو(العثور على الشيء والتمكن منه)، ولكن بلا شك أن لكل فعل خصائصه ومميزاته، وهذا ما سنتبينه من خلال:

أ. المعنى المعجمي للفعلين: فالفعل (وجد) فعل مبهم لا يتعين إلا بإرجاعه إلى أصله ومصدره، " نقول: وَجَد وهي كلمة مُبْهمة فإذا صُرفت أفصحت، فقلت في المال: وجْدا، وفي الضالة: وِجدانا (ووجودا)، وفي الغضب: مَوْجِدَةً، وفي الحُزْن: وَجْداً.." (السيوطي ـ ١٩٩٨م. ج/٢، ص: ٢٦٠) وأما (ثقف) فهو من " ثَقُفَ، ككَرُمَ وفَرِحَ، ثَقْفاً وثَقَفاً وثَقافَةً: صارَ حاذِقاً خَفِيفاً فَطِناً، فهو ثِقْفٌ... وثَقفهُ، كسَمعَه: صادَفَه، أو أخَذَه، أو ظَفرَ به، أو أدْرَكَهُ..."، "ويقال: ثقِفْت كذا إذا أدركتَه ببصرك لحذق في النظر، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة..." (الفيروزآبادي ٢٠٠٥م. ص: ٧٩٥).

ومن خلال معاني هذه الأفعال نلاحظ أن الفعل (وجد) يتصرف في معاني (الحزن، والغضب، والغنى، والعثور على الشيء)، فهو يتعلق بما يجده الإنسان في نفسه من حزن وغضب، وما يعثر عليه خارج نفسه من مدركات محسوسة، كوجوده للأشياء، وأما الفعل (ثقف) فيستعمل في الأصل فيما يدركه الإنسان بذكائه وفطنته، ويستعمل في عموم معنى الإدراك، فبين الفعلين (وجد، وثقف) عموما من ناحية (الإدراك)، وخصوصا من ناحية (طريقة الإدراك)، وهذا ما سيتضح بعد الوقوف على موقع استعمال كل منهما في سياقه.

٢. سياق الآيتين: ؛ نجد في سياق الآية الآولى أن الله سبحانه وتعالى جعل الإمتناع عن الهجرة " عَلَامَةً عَلَى كُفْرِ الْمُتَظَاهِرِينَ بِالْإِسْلَامِ، حَتَّى لَا يَعُودَ بَيْنَهُمُ الِاخْتِلَافُ فِي شَأْنِهِمْ، وَهِيَ عَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ النِّفَاقِ شَيْءٌ مَسْتُورٌ إِلَّا نِفَاقَ مُنَافِقِي الْمَدِينَةِ....(فَإِنْ تَوَلَّوْا) أَيْ أَعْرَضُوا عَنِ الْمُهَاجَرَةِ وَلَمْ يَتَقَبَّلُوهُ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ..." (التحرير والتنوير، ج/٥، ص: ١٥٢) والوجود المقصود في الآية متعلق بوجود من تحققت فيه العلامة البينة (الامتناع من الهجرة)، فمعرفة هؤلاء لا تحتاج إلى فطنة وذكاء وحذق، فأمرهم واضح بين، لذلك عبر القرآن الكريم عن العثور عليهم بلفظة (وجدتموهم) التي تعني مطلق الإدراك.

وأما في الآية الثانية فهي تتحدث عن قوم آخرين وهم " قوم من بنى أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (أُرْكِسُوا فِيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه، وكانوا شراً فيها من كل عدوّ..." (الكشاف، ج/١، ص: ٥٤٨) .

فالفعل (ثقف) جاء في سياق الحديث عن قوم يُخْفُون ما لا يُظْهِرون، ومعرفتهم تحتاج إلى فطنة وذكاء وخبرة بأحوال الناس، وهذا يتناسب مع معنى الحذق والفطنة المستفاد من الفعل ثقف، إضافة على ذلك أن معنى ثقف كما فسره الزمخشري يعني في حالة قهر وغلبة، أي في حالة انكشفوا فيها وهم يقاتلون في صفوف الأعداء، لا في حالة السلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتعرض للمنافقين بالقتل والتشنيع رغم وجودهم بين المؤمنين.

فإيثار الفعل (ثقف) في هذا السياق حقق معنى دقيقا، وهو التمكن والإدراك المبني على حذق وفطنة، فنلاحظ أن الفعلين (وجد، وثقف) استعمل كل واحد منها في ما هو أليق به لتأدية المعنى الخاص به، وإن اشتركا في أصل المعنى.

نلاحظ بعد استعراض هاته الأمثلة المتنوعة للإبدال(حروف المعاني، الأسماء، الأفعال) أن الإبدال ظاهرة أسلوبية قرآنية، له وجوه متعددة، قد يساعدنا ــ وبكل يقين ــ على استحداث منهج جديد لتعليم اللغة العربية، أو يستعان به في دروسها، ذلك أن الإبدال يقدم لنا دروسا متنوعة في عدة مجالات، نذكر منها:

أ . المعجمية: فالإبدال بين الكلمات ذات المعنى المتقارب، يدفعنا للبحث عن المعنى العميق للألفاظ، والوقوف على الفروق اللغوية بينها، كالفرق بين (غلام ـــ وولد) و (حية ـــ وثعبان) و (انفجرت .وانبجست)... وبالتالي نكون قد بحثنا في معاني جملة كبيرة من الألفاظ.

ب. النحو والصرف: فالإبدال بين حروف الجر وحروف العطف مثلا، يوقفنا على معرفة المعاني الدقيقة للحروف، كالفرق بين معاني (الواو، وثم) من خلال أثرهما الدلالي، وكذلك الفرق بين دلالة صيغ الاسمين (ساحر وسحَّار)، والفرق بين المؤنث والمذكر والتعريف والتنكير وغير ذلك مما هو من موضوعات الإبدال.

ج. الدلالة: فإذا كان السياق أهم مستوى في الفهم الدلالي للنصوص، فإن اسلوب الإبدال يعرض ذلك في صورة متقنة محكمة، وذلك من خلال الترابط المكين بين الحرف والكلمة وسياقاتهما المختلفة (سياق الآية ـ سياق الموضوع ـ سياق السورة ـ سياق الرتبة .(ترتيب السور). سياق الحدث (سبب النزول) ـ سياق المكان والزمان (المكي والمدني)... الخ)، فأسلوب الإبدال إذا يقدم لنا منهجا متكاملا في الدراسات السياقية. وكما قال: الدكتور أبو موسى: " والقصص والحوادث التي تتكرر وتتكرر معها عناصر كثيرة في الأسلوب بينهما فروق، ترتبط بالسياق ارتباطا بالغ الدقة والرفاهة، والكشف عنه يحتاج إلى مهارة ووعي، وإحاطة شاملة، وليس هناك أدخل في باب البلاغة العالية من مثل هذه البحوث...(دلالة التراكيب، ص: ٣٤٨).

د. البلاغة: فإذا كانت البلاغة تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإن تمام المطابقة لن يظهر إلا في النظم القرآني المعجز، وأسلوب الإبدال يسهل علينا إدراك ذلك من خلال العرض التقابلي بين آيتين متفقتين في النظم كليا، ومختلفتين في جزئية واحدة (حرف /كلمة)، لنلحظ بعد البحث والدراسة والمقارنة ذلك التطابق التام والعجيب بين كل حرف/كلمة، والموضوع والسياق.

هـ . تعتبر الآيات التي تتضمن هذا الأسلوب نماذج جاهزة للدراسة والبحث، تتسم بالسهولة واليسر والاقتصاد، فاستعراض آيتين أمام الطالب لا تكلفه عناء حفظ نموذجين، لأن الآيتين يعتبران نصا واحدا، لا تختلف إلا في حرف أو كلمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن صورة ذلك الاختلاف واضحة جلية، فهي نقطة ارتكازية إن صح التعبير في نص الآية، تساعد الطالب على الاهتمام بالموضوع بشكل كبير، دون أن يشعر بالتكلف.

و. وهناك فوائد مختلفة لفتح أفق الدراسة في هذا الموضوع، فوائد تتعلق بتربية الحس اللغوي والبلاغي لدى الطالب، وفوائد تتعلق بفهم الخطاب القرآني وما يتضمنه من قيم وأحكام ولطائف، ذلك كله يدعو إلى الإقبال على القرآن الكريم تعبدا ودراسة وحفظا.

المصادروالمراجع

- ابن الجوزي، **فنون الأفنان**، ت.د.حسن ضياء الدين عتر. دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٨٧: م.
- ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل**، (٧٠٨هـ)، ت : عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت. ج/١
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط/٣ (١٤١٤هـ،١٩٩٧م). ج/١١.
- بدر الدين بن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، (٧٣٣هـ)، ت: د/عبد الجواد خلف، دار الوفاء المنصورة، ط/١٤١٠،١هـ-١٩٩٠م.
- جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٤٠٧،٣هـ. ج/١،
- الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق د/ محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة، ط/١٤٢٠٠١م. ج/١.
- الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ت/صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق، (١٤١٢هـ،١٩٩١م).
- الزركشي أبي عبد الله بدر الدين . **البرهان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط/١، ١٩٥٧م. ج/١.
- السيوطي جلال الدين، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)،، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط/١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج١.
- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٤٩هـ،١٩٧٤م).ج/٣.
- السيوطي، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ١٩٩٨م. ج/٢.
- الطاهر بن عاشور، **التحريروالتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م. ج/٥ .
- فخر الدين الرازي خطيب الري، **مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١٤٢٠،٣.

- الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ت: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط/٨، ٢٠٠٥م.
- الكرماني، **البرهان في متشابه القرآن**، ت : د. أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء، مصر، ط٤ :٢٠٠٩ م.
- محمد محمد أبو موسى، **دلالات التراكيب**، دراسة بلاغية،، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢، ١٤٠٨هـ،١٩٨٧م.